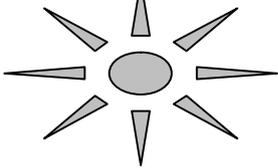


2

الفصل الثاني

المخ

والذكاء الروحي



obeykandl.com

ما الذي ينمو؟ وهل الذكاء ينمو بنفس القدر خلال الأعمار المختلفة؟

إن نظرية (جاردنر) للذكاءات المتعددة قادت إلى تصور بأن شكل أو هيئة العقل البشري يتمثل في قيادة الناس إلى استخدام سبعة طرق على الأقل في معرفة عالمهم حيث ترى هذه النظرية أن البشر يكتسبون ما يتعلمونه عن عالمهم من خلال:

- اللغة.
- التحليل الرياضي المنطقي.
- التصوير المكاني.
- التفكير الموسيقي.
- استخدام الجسم في حل المشكلات أو صنع الأشياء.
- فهم شخصيات الآخرين.
- فهم الفرد لذاته.

إن قلب نظرية (جاردنر) للذكاءات المتعددة هو الإيمان بأن البشر يحصلون على معلوماتهم بطرق مختلفة تشير إلى أن العقل متعدد الأوجه (Gardner, 1993).

ومن صلب هذه النظرية خرجت تساؤلات كثيرة عن أوجه أخرى للعقل، وطرق أخرى للحصول على المعرفة وأساليب للتعليم غير التي حددها (جاردنر)، خاصة أنه حرص على أن يذكر أن الرقم (7) ليس بالرقم السحري الذي يجمع كل المملكات العقلية، وترك الباب مفتوحاً لإضافة أنواع أخرى من الذكاءات (Jerry, 1998).

فالدراسات المعرفية لا يجب أن تتوقف عند الحد الذي تحدد فيه كيف ينمو الذكاء، لكن ينبغي عليها أن تحدد "ما هو بالتحديد الشيء الذي ينمو؟". وربما يلخص (برونر Bruner) هذه الفكرة في قوله: "إن جيلنا هو الذي قاد الثورة المعرفية ورعاها، لكننا مازلنا لا نستطيع فهم محدداتها".

ويبدو أن العلم المعرفي مازال قاصراً حتى هذا القرن. فلم يكتشف بعد الإجابات الشافية لتساؤلات كثيرة مازالت تدور حول غيبيات العقل. إلا أنه لا يمكن إنكار تلك الجهود التي بذلها الباحثون في جميع الأجزاء المتعددة والتي يمكن أن تسهم في تكوين ذلك المستكشف الكلي أو الشامل الذي يحيط بالتفكير ويحاول فك الطلاسم التي تعتريه (Jerone, 1983).

ولعل أكثر ما شد الباحثين أخيراً هو ما أشار إليه (هاورد جاردنر Howard Gardner) من أن "الحاجة إلى تصنيف جيد للملكات العقل البشري تفوق ما لدينا الآن من تصنيفات". ولاشك أن افتراض (جاردنر) لنظريته في الذكاءات المتعددة (Multiple intelligence) قد توصل إلى أن هناك حاجة إلى تصنيفات أفضل للملكات العقلية البشرية. فقد أشار (جاردنر) إلى أن أساس نظريته في الذكاءات المتعددة هو قيامها على الإجمال، فهي تجمع مركب متكامل ومنطقي لأنواع أو أنماط القدرات التي تقدر من خلال التراث الإنساني أو الثقافات البشرية.

ففي مقدمة الطبعة العاشرة لكتابه "أطر العقل" (Frames of Mind) يذكر (جاردنر): "أن هؤلاء المهتمين بتطور نظرية الذكاءات المتعددة منذ عام 1983 غاباً ما يسألون هل من الممكن أن يضاف ذكاء آخر جديد؟ أو ربما يمكن حذف أحد الذكاءات الأساسية التي تم تحديدها؟ والإجابة هي إنني لم أجرب حتى الآن تعديل تلك القائمة التي حصرت من خلال أنواع الذكاءات الأساسية (السبعة)، لكنني مستمر في التفكير في أن هناك شكل من الذكاء الروحي ربما يوجد (Gardner, 1993).

إن هذه الإشارة من (جاردنر) فتحت الباب أمام كثير من الباحثين لمحاولة تأصيل الذكاء الروحي، خاصة أنه خلال القرن الأخير ظهر اهتمام متزايد من الباحثين حول الروحانية باعتبارها عنصر مكمل للخبرات الإنسانية وللتطور (Miller, 1999)، (Bergin & Garfield, 1994)، (Shafraanske, 1996)، (Worthington, 1989)، و (Wulff, 1997) فبالإضافة إلى النظرية السلوكية، والمنظور البيولوجي والمعرفي، فإن هناك العديد من العلماء يعتبرون أن الروحانية تمثل الجانب الرابع من التكوين الإنساني.

ولم تكن مهارات الإرشاد الروحي في المعالجات النفسية تتميز بوجود أساس تنظيري واضح للروحانية أو حتى منظور روحي مميز.

ولقد حاول كل من (ماكورتير) (McWhirter, 1998) و (ماك دراغ) (McDargh, 1998) اقتحام المناقشة المفتوحة للدين والروحانية (بالرغم من السرية التي كانت مضروبة على تلك الموضوعات) وربما كانت الصعوبة في تناول موضوعات الروحانية والدين أو الولوج إليها نابغاً من أن بداية المناقشات كانت تحاول اقتحام هذه الموضوعات بلغة تشير إلى التوجه الجنسي، لذلك كانت الروحانية والدين منطقة من الصعب الغوص فيها أو الولوج إليها.

الذكاء الروحي والشعور بالمعروف والإحسان والعطاء؛

الإحسان والامتنان هما وليدا التعاطف الذي عرفت عنه الكثير في الفصل السابق. فالإحسان والامتنان، يعدان نوعاً من التنفس الروحي: فالامتنان يمثل عملية الشهيق، حيث تستقبل الطاقة المنشطة، والإحسان يمثل عملية الزفير، حيث إنك ترد الجميل.

فعندما تقوم بالإحسان وتبدي امتنانك للمعروف فأنت بذلك تزيد من قوة ذكائك الروحي، وتتعلم كيف تستنشق وترزق بطريقة متناغمة بدلاً من حبس أنفاسك طوال الوقت. وهذا سوف يساعدك على أن تصبح أكثر هدوءاً وسعادة، وتصبح على وفاق مع كل البشر.

وكما كان الحال عندما تنمي التعاطف، سيعود عليك ذلك بمنافع لا حصر لها، فسوف يزداد عدد أصدقائك، وستحسن صحتك، وسوف تزيد ثروتك، والتي تكون العملة المتداولة فيها هي البسمة، وذلك بالطبع سيعود بالنفع على مجتمعك الواسع وعلى العالم ككل.

وقد تم إعداد القصص التالية لإمتاعك وتزويدك بالمعلومات ودفعك إلى الأمام وإلهامك.

حملة (تريفور)؛

في عام 1983 رأى طفل يدعي (تريفور فيريل) شخصاً مشردت يعيش في شوارع (فيلادلفيا)، وفيما بعد، سأل هذا الولد أبويه عن سبب نوم هذا الرجل في الشوارع الباردة، وعندما علم أن السبب هو أن هذا الرجل لا يملك منزلاً وليس له عائلة تعتني به، طلب من والديه أن بصطحباه إلى المدينة لكي يمنح الرجل وسادته الخاصة وبطانيته الصفراء.

وبعد ذلك التصرف الذي ينطوي على العطف والذي نبع من قلب خال من الضغائن لطفل عمره ثلاثة عشر عاماً. بدأت حملة (تريفور) وبعد هذا العمل الإنساني الذي قام به (تريفور)، بدأ المتطوعون، كباراً وصغاراً، بالتنقل بين شوارع "فيلادلفيا" لتوزيع الوجبات الساخنة والأغطية والملابس، إلى جانب تقديم الرعاية والحب لكل هؤلاء المحتاجين، وكل ذلك بسبب صغير.

وبمرور السنين توسعت تلك الحملة وانتشرت، وأصبح الأطفال والكبار الآن يحاكون نموذج (تريفور) - في العطف والإنسان - في كل مدن العالم في الأماكن التي يهيم فيها الجوعى المشردون.

لقد تحدث (تريفور) عن حملته في المدارس وفي قاعات الاجتماعات وفي المجالس النيابية ودور العبادة وفي اجتماعات المدينة. وعندما سئل (تريفور) إذا ما كان قد فوجئ بتوسع حملته ونموها، فقال: "ما كنت أتوقع بدأً أن يصل عدد المتطوعين إلى 1100 متطوع، وتخص ثلاث شاحنات للمساعدة في نقل التبرعات، ويتم بناء منزل لإيواء المشردين، فكل ما أردته هو مساعدة المشردين في أحد الأوقات".

لقد تصرف (تريفور) كما كانت الأم (تريزا) تتصرف (والتي أعمل معها لفترة في الهند). وعندما سئلت الأم (تريزا) عن سبب استمرارها في هذا العمل الخيري وفي التقاط الأطفال من الشوارع ومساعدة المحتضرين، وقيل لها أن ما تفعله لا يعد إلا "نقطة في البحر" مقارنة بالآلاف من المحتضرين، فأجابت: "فعلاً صحيح إن ما أفعله في بحر ولكنني أرى أن تلك النقطة تزيد منى حجم ذلك البحر".

الحلقات الدراسية لتعلم لعبة خفة اليد

في حلقات التدريس التي كنت أقدمها في جميع أنحاء العالم حول كيفية التعلم وطرق زيادة القوة الذهنية، وكانت هناك إحدى الألعاب التي يمارسها البعض وهي تعلم كيفية اكتساب خفة اليد وهو الأسلوب الذي ابتكره "مايك جيلب". ولعبة خفة اليد - التي يقوم فيها اللاعب بقذف الكرات في الهواء والتقاطها مرة أخرى - تعتبر فرصة ممتازة للتعلم وأداء جيدة للتدريس وذلك أنها تعكس الطريقة التي يتعامل بها العقل مع أي مهمة تعلم جديدة. بالإضافة إلى أنها تمد المرء بالكثير من التغذية الإستراتيجية في الحال.

وأحد الجوانب السلبية لهذه الحلقات الدراسية كانت تتعلق برد فعل الطلاب على مجاملتي لهم لتقدمهم ونجاحهم.

وعندما كنت أهنئهم على نجاحهم في تقاذف ثلاث كرات في الهواء، أو في أداء حيلة صعبة ومعقد كانت ردودهم لهذه التشجيعات وصيحات التهئة التي كنت أقول فيها عبارات مثل: "أحسنتم" دائماً ما تكون على هذا النحو:

"لا! كنت أحاول أن أصل إلى المرحلة الثانية".

"لا فائدة. فأنا لن أتقدم خطوة واحدة!".

"لم أكن جيداً لهذه الدرجة". "لن أتحسن أبداً".

"كنت أستطيع القيام بما هو أفضل من ذلك".

والقاسم المشترك في كل تلك الردود كان إنكار الذات.

الشيء الممتع في هذا النوع من ردود الأفعال هو أن المرء دائماً ينكر تفوقه ولا يهيمه كم أبلى بلاء حسناً.

وعندما يقوم أحدهم بتقاذف سبع كرات ودجاجة ومنشار في الهواء يحرز مستوى كبيراً من النجاح وعندما أقوله له "ما هذا! إنه نجاح لا يصدق عقل!" تكون إجابته كالتالي "هذا ليس حقيقياً، وذلك لأنني كنت أحاول أن أحرز تقدماً أعلى من ذلك".

فلو كنا ننتقد ونعاقب لفشلنا عندما كنا صغاراً، وعندما كنا نسعد بنجاحنا كانوا يعتبروننا متغطرسين فنحن نتعود أن نعاقب أنفسنا بشكل دائم مهما فعلنا ومهما كانت النجاحات التي نحققها. فنحن نرفض المدح وننكره باستمرار.

عندما نعتقد أننا نتصرف بتواضع، نعرض بذلك الشخص الذي قام بمدحنا للإهانة، ويكون ذلك دون وعي ولا قصد منا. فعلى سبيل المثال، كان الأشخاص الذين مدحتهم على براعتهم في الأداء يردون على هذا المدح بعبارات مثل: "أنت مخطئ يا (توني) يا لك من أبله! كيف يمكنك أن تخبرني بأني قمت بعمل جيد وأنا أعرف أنه ليس بعمل جيد!".

وهذا يبدو سلوكاً مهيناً في باطنه تجاه شخص يحاول أن يكون حليماً ومتواضعاً.

فالدرس المستفادة من تلك القصة هو أن نقابل شكر ومدح الآخرين بامتنان، ونحن حين نفعل ذلك نحظى بالبهات التي يمنحها لنا الآخرون، وفي نفس الوقت نعتز بجميلهم ونرفع من معنوياتهم.

الصبي الفقير وما تعلمه من الحياة:

في منتصف القرن التاسع عشر هاجر صبي اسكتلندي يبلغ من العمر اثني عشر عاماً ويدعى (أندرو كارنيجي) إلى (بتسبرج) بولاية (بنسلفانيا). ونظراً لأنه من أسرة فقيرة فقد أجبر هذا الغلام على العمل في سن مبكرة، فعمل في البداية في مصنع غزل القطن، ثم ساعياً ينقل الرسائل التلغرافية، ثم موظفاً بالسكك الحديدية، وذلك قبل أن ينتقل إلى العمل في صناعة الصلب.

وكان هذا الغلام الصغير "كارنيجي" لديه ثقة غير عادية في نفسه. فقد كان يعمل بجِد وإخلاص، وكان يتعلم من أخطائه حتى سرعان ما وصل إلى القيمة في مهنته. وفي نهاية الأمر قام (كارنيجي) بإنشاء شركة لتصنيع الصلب. وأصبحت شركته أكبر شركات تصنيع الصلب في العالم، وأصبح (كارنيجي) من أغنياء العالم.

وهناك شيئان بارزان في قص حياته لمن يبحث عن تنمية ذكائه الروحي:

الشيء الأول هو أن (كارنيجي) ينسب الجانب الكبير من نجاحه إلى دراسته للعقل وقدراته الفائقة وذكائه الإبداعي والروحي، وتطبيقه لما أكتسبه من هذه القدرات، قال: "الإنسان بكل ثقافته وتعاليمه التي يفخر بها يعرف القليل أو لا يكاد يعرف شيئاً عن القوة غير الملموسة (والتي هي من أعظم القوى غير الملموسة) للفكر. فهو يعرف القليل من المخ البشري وشبكة خلاياه المعقدة والتي من خلالها يتم ترجمه الأفكار إلى أفعال؛ ولكن الإنسان الآن على أعتاب عصر سيلقي الضوء على هذا الموضوع". وقد أوصى (كارنيجي) كل شخص في كل مكان بتعلم آلية العقل وأنواع الذكاء المتعددة!

أما **الشيء الثاني** فهو تفكير (كارنيجي) فيما يفعله بكل تلك الثروة والغني الفاحش الذي جلبه إليه عمله الشاق وذكائه ودهاؤه، وكان ذلك في عام 1901 بعد تقاعده في سن السادسة والستين.

فماذا كان قراره :

لقد قرر أن يهب كل ثروته !

ولكن لمن؟ أو لأي غرض؟

التعلم والتعلم.

وبمعايير الوقت الحالي، قام (كارنيجي) بتوزيع أكثر من مائة مليون دولار على التعليم في جميع أنحاء العالم، وعلى المكتبات العامة، والجامعات الأمريكية والاسكتلندية، والمتاحف، والمعارض الفنية، ودور العبادة في أنحاء أوروبا، والتي مؤسسته "مؤسسة (كارنيجي) والتي كرست عملها إلى النشر الثقافى للملايين سنوياً.

فقد حول (كارنيجي) نفسه من أكثر رجال الأعمال الصناعية الناجحين في العالم إلى أكبر رجال العالم تصدقاً وإحساناً على التعليم. لقد وهب أضخم ثروة على مر التاريخ بغرض الارتقاء بمستويات التعليم وهياً فرص التعليم لأقرانه من البشر.

تحويل الجحيم إلى نعيم:

يعود الفضل إلى (فلورنس نايتجيل) في جعل مهنة التمريض مهنة جديرة بالاحترام، ويعود إليها الفضل أيضاً في تشجيع الملايين ممن جاءوا من بعدها حتى يحذوا حذوها.

فقد كانت تعمل بشكل متواصل وبالالتزام تام وتضحية شخصية مطلقة لإنقاذ حياة الآخرين وتخفيف آلام ومعاناة الذين يعانون من أهوال الحرب المفزعة.

فكانت (فلورنس نايتجيل) شمعة أمل لهؤلاء الجنود الذين كانوا يتحملون الرياح والأمطار والثلوج، وكادوا يعانون من شبه مجاعات، بالإضافة إلى جروحهم المقترحة في هذه الظروف غير الصحية، وأعمالها الخيرية كانت تمد كل من يشعرون باليأس بالإيمان والإلهام.

وبعد الحرب كرس (فلورنس نايتجيل) كل طاقتها لتقديم المساعدة والرعاية إلى الآخرين. فقد قامت بثورة لتغيير أسلوب التمريض والمستشفيات، وهي السبب في إنشاء المستشفيات بالتصميم الذي يضمن وجود حجرات جيدة التهوية والإضاءة. ومن أحد نماذج أعمالها مستشفى (سانت توماس) المشهور في (لندن).

فلاش

- أنا شخص خير وأحب أن أكون معطاء.
- أنا سخي بفطرتي أقوم بتقوية هذا الجانب في شخصيتي.
- أنا شخص أعتني بالآخرين، ودائماً أرحب بتقديم يد العون إليهم.
- أحب أن أتلقى المساعدة والعناية والهدايا من الآخرين، وأفعل ذلك على الملأ وبكل حماسة، فقبولي لكل هذه الأشياء يسمح للآخرين بتقديم المزيد.
- العطف هو مبدئي في الحياة.
- أنا شخص عطوف ولطيف ودائماً أنظر إلى احتياجات الآخرين.
- العطف هو مبدئي في الحياة.